الباب الثاني
ملامح الوسطيَّة

تمهيد:

للوسطية ملامح وسمات تحف بها، وتميزها عن غيرها، بمجموع تلك الملامح لا بأفرادها، وقد طالعت ما ورد في وسطية هذه الأمة بين الأمم، وكذلك ما كتبه بعض الذين بحثوا في الوسطيَّة، ومن خلال استقراء القرآن الكريم توصلت إلى تحديد سمات وملامح الوسطيَّة.

وتحديد هذه الملامح مهمة أساسية في مثل هذا البحث، حتى لا تكون الوسطيَّة مجالاً لأرباب الشهوات وأصحاب الأهواء، ذلك أن الوسطيَّة مرتبة عزيزة المنال، غالية الثمن، كيف لا وهي سمة هذه الأمة، ومحور تميزها بين الأمم؟! جعلها الله خاصية من خصائصها، تكرّماً منه وفضلاً: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الجمعة: ٤).

إن من أهم سمات الوسطيَّة ما يلي:

- السمة الأولى: الخيرية.
- السمة الثانية: العدل.
- السمة الثالثة: اليسر ورفع الحرج.
- السمة الرابعة: الحكمة.
- السمة الخامسة: الاستقامة.
- السمة السادسة: البينية.

وكل سمة من هذه السمات يدخل تحتها عدد من أفرادها، وسأبين لكل سمة بما يلائم المقام، ويفي بالغرض، والله الهادي إلى سواء السبيل. وأظن أن هذه الملامح بمجموعها تصلح ضابطاً لتحديد الوسطيَّة ومعرفتها، بما يرد على السؤال الذي لا بد أن يرد في أذهان الكثيرين أين ضابط الوسطيَّة وكيف نميزها عن غيرها؟

الفصل الأول
الخيرية

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠) وقد بينت أن من معاني الوسطيَّة الخيرية.

المبحث الأول
أقوال المفسرين في آية الخيرية

قال ابن كثير رحمه الله: والوسط هنا: الخيار والأجود، كما يقال لقريش أوسط العرب نسباً وداراً، أي خيرها[1]. وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: يعني الناس للناس، والمعنى: أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس، إلى أن قال: كما في الآية الأخرى، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣) أي خياراً[2].

وقال الطبري رحمه الله: مقرراً خيرية هذه (الأمة الوسط): فإن سأل سائل فقال: وكيف قيل: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾؟ وقد زعمت أن تأويل هذه الآية هذه الأمة خير الأمم التي مضت، وإنما يقال: كنتم خير أمة لقوم كانوا خياراً فتغيروا عما كانوا عليه؟! قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما ذهبت إليه، وإنما معناه أنتم خير أمة، كما قيل: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ (الأنفال: ٢٦) وقد قال في موضوع آخر: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٠).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/ ٣٩١).

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٨٦) فإدخال (كان) في مثل هذا وإسقاطها بمعنى واحد، لأن الكلام معروف معناه. ولو قال أيضاً في ذلك قائل: ﴿كُنتُمْ﴾ بمعنى التمام، كان تأويله خلقتم خير أمة، أو وجدتم خير أمة، كان معنى صحيحاً[١]، وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣) قال: وأما التأويل فإنه جاء بأن الوسط العدل، وذلك معنى الخيار، لأن الخيار من الناس عدولهم[٢].

ومما سبق يتضح أن الخيرية مما فسر به معنى الوسطيَّة التي ذكرها الله من خصائص هذه الأمة، فما هي هذه الخيرية التي نعرف بها وسطية هذه الأمة؟

قال الطبري رحمه الله: معنى ذلك: كنتم خير أمة أخرجت للناس، إذا كنتم بهذه الشروط التي وصفهم - جل ثناؤه - بها، فكان تأويل ذلك عندهم: كنتم خير أمة تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله، أخرِجُوا للناس في زمانكم[٣].

قال أبو مسعود[٤] رحمه الله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ أي إيماناً متعلقاً بكل ما يجب أن يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء، وإنما لم يصرح به تفصيلاً لظهور أنه الذي يؤمن به المؤمنون، وللإيذان بأنه هو الإيمان بالله تعالى حقيقة[٥]. وقال القاسمي رحمه الله: ثم بين وجه الخيرية بما لم يحصل مجموعه لغيرهم بقوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠) فبهذه الصفات فضلوا على غيرهم ممن قال تعالى فيهم: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (المائدة: ٧٩) ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ (النساء: ١٥٠).

وقال محمد رشيد رحمه الله: والحق أقول: إن هذه الأمة ما فتئت خير أمة أخرجت للناس، حتى تركت الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ثم قال: وقد بين الفخر الرازي كون وصف الأمة هنا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان علة لكونها خير أمة

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٤٥).
(٢) انظر: المرجع السابق (٢/ ٧).
(٣) انظر: المرجع السابق (٤/ ٤٤).
(٤) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الفقيه الحنفي المفسر الأصولي الشاعر صاحب تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ولد سنة ٨٩٣هـ، وتوفي عام ٩٨٢هـ. انظر ترجمته في بدر الطالع: (١/ ٢٦١) والشذرات (٨/ ٣٩٨)، ومعجم المفسرين (٢/ ٦٢٥ - ٦٢٦).
(٥) انظر: تفسير القاسمي (٤/ ٩٣٦).

أخرجت للناس، فقال: واعلم أن هذا الكلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية، كما تقول: زيد كريم، يطعم الناس ويكسوهم، ويقوم بما يصلحهم.

وتحقيق الكلام أنه ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم مقروناً بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف، ههنا حكم تعالى بثبوت وصف الخيرية لهذه الأمة، ثم ذكر عقيبه هذا الحكم وهذه الطاعات، أعني الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان، فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات[١].

وقد وردت بعض الأحاديث التي تدل على خيرية هذه الأمة منها:

١ ـ روى الترمذي في تفسيره لهذه الآية أن رسول الله ﷺ قال: «**إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله**»[٢].

٢ ـ وقال ﷺ: «**أعطيت ما لم يعطَ أحد من الأنبياء**»، فقلنا: يا رسول الله ما هو؟ فقال: «**نصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعل التراب لي طهوراً، وجعلت أمتي خير الأمم**»[٣].

فهذه الأحاديث مع آية آل عمران تبين خيرية هذه الأمة، التي جعلها الله أمة وسطاً، وقد جمع المفسرون بين معنيي الخيرية والوسطيَّة، حتى جاء أحدهما تفسيراً للآخر، كما مر معنا. ولأهمية بيان معنى الخيرية، سأذكر أبرز أوجه هذه الخيرية ليتضح لنا معنى الوسطيَّة.

المبحث الثاني
أبرز أوجه خيرية هذه الأمة[٤]

لم تنل هذه الأمة هذه المكانة السامقة بين الأمم، مصادفة، ولا جزافاً ولا

---

(١) انظر: تفسير المنار (٤/ ٦٠).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب سورة آل عمران، (٥/ ٢١١ رقم ٣٠٠١) قال الترمذي: هذا حديث حسن، ووافقه الشيخ الألباني رحمه الله كما في المشكاة رقم (٦٢٨٥).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٩٨، ١٥٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦) وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو سيىء الحفظ، قال الترمذي: صدق، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه، وسمعت محمد بن إسماعيل ـ يعني البخاري ـ يقول: كان أحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم، والحميدي يحتجون بحديث ابن عقيل: قلت: فالحديث حسن، والله أعلم.

(٤) انظر: وسطيَّة أهل السنة بين الفرق (٢١٠).

محاباة، فالله سبحانه وتعالى منزه عن أن يكون في ملكه شيء من ذلك، فكل شيء عنده بمقدار، وهو يخلق ما يشاء ويختار، وهو سبحانه عندما أخبر أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، بين وجه ذلك وعلته في نفس الآية فقال: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠) فبهذه الأمور الثلاثة العظيمة القدر كانت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، على أن هذه الأمور ليست هي كل ما كانت به هذه الأمة خير أمة، إذ هناك أمور وخلال كثيرة أهّلت هذه الأمة لهذه الخيرية، ولكن هذه الثلاثة أهمها وأعظمها، إذ لا تدوم ولا تستمر هذه الخيرية ولا تحفظ إلا بإقامتها وأدائها، فإن فقدت هذه الأمور في جيل من أجيال هذه الأمة لم يكن حريّاً بهذه الخيرية التي حظيت بها هذه الأمة.

وسأعرض فيما يأتي لأهم أوجه هذه الخيرية، محاولاً الإيجاز وعدم الإطالة. فأقول وبالله التوفيق:

الوجه الأول: إيمانها بالله ﷻ:

إن إيمان هذه الأمة يتميز عن إيمان سائر الأمم بأنه إيمان عام وشامل، يشمل جميع الرسل التي أرسلت، والكتب التي أنزلت على جميع الأمم التي خلت: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ (البقرة: ٢٨٥).

وقال ﷺ في حديث جبريل المشهور في بيان حد الإيمان الواجب على هذه الأمة: **«أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[(١)]. فحصل لهذه الأمة المحمدية من الإيمان بجميع الرسل، وجميع الكتب ما لم يحصل لغيرها باعتبار ما يأتي:

١ ـ أن هذه الأمة هي آخر الأمم، كما قال النبي ﷺ: **«نحن الآخرون السابقون...»**[(٢)] وقال في حديث آخر: **«نكمل اليوم سبعين أمة نحن آخرها وخيرها»**[(٣)]

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام (١/ ٣٦).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة (٢/ ٣٥٤)، رقم الحديث (٨٧٦).
(٣) أخرجه ابن ماجه: كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ (٢/ ١٤٣٣)، حديث رقم (٤٢٨٧) وقال الشيخ الألباني: حسن، صحيح ابن ماجه (٢/ ٤٢٦).

وفي حديث آخر: «**نحن آخر الأمم وأول من يحاسب**»[١] فآمنت بجميع الرسل والكتب التي قبلها، مع إيمانها برسولها الخاتم، وكتابها المهيمن على جميع الكتب، ولم يقع ذلك إلا لها، فحق لها أن تكون خير الأمم، لأنها جمعت خير ما عندهم من الإيمان بالكتب والرسل.

٢ ـ أن كثيراً من الأمم التي قبلها، لم تؤمن بمن كان قبلها من الرسل والكتب، بل كذبوا وكفروا بهم، وهذا الوجه وإن جاء في الآية تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمعنى اختلف المفسرون في تحديده[٢]، إلا أنه باتفاق الجميع هو الأساس التي يبنى عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا لم يكن ثمة إيمان على أساسه يتصور المعروف فيؤمر به، والمنكر فينهى عنه، فليس هناك أمر بمعروف ولا نهي عن منكر بالمعنى الشرعي.

الوجه الثاني: أنها أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر:

وهذا من أعظم ما كانت به هذه الأمة خير أمة أخرجت الناس، فهو من أظهر خصائصها، وأبرز ما تتميز به عن سائر الأمم، ولذلك قدمهما الله ﷻ في الذكر على الإيمان به تعالى، مع كونه ـ أي الإيمان ـ متقدماً عليهما في الوجود والرتبة، فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، وقد أمر الله هذه الأمة بأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأن يكون فيها من يقوم بذلك فقال ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ (آل عمران: ١٠٤) كما أوجب النبي ﷺ ذلك على أمته على حسب الاستطاعة وهي مراتب فقال: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن**

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة محمد ﷺ (٢/ ١٤٣٤، ٤٢٩٠) وقال البوصيري: إسناده صحيح، ورجاله ثقات، وقال الشيخ الألباني: صحيح، صحيح ابن ماجه (٢/ ٤٢٧).

(٢) قيل: إنه أخر الإيمان عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجوداً ورتبة؛ لأن دلالتهما على خيريتهم أظهر من دلالتها عليها. وقيل: للتعريض بأهل الكتاب الذين كانوا يدعون الإيمان، ولا يقدرون على ادعاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنهم كانوا في مجموعهم لا يتناهون عن منكر فعلوه هما من خصائص هذه الأمة المميزة لها، وقيل: ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سياج الإيمان بهما يستر نقاؤه وصفاؤه وتوهجه، بل واستمراره، وكلما ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ضعف الإيمان، ودخلت عليه البدع والمعاصي التي تحول دون نمائه وقوته. انظر: تفسير أبي السعود (٢/ ٧١)، وتفسير المنار (٤/ ٦٤) بتصرف.

لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[١].

قال الإمام النووي رحمه الله: وأما قوله ﷺ: «فليغيره» فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم... ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف[٢]...

ولما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذه المثابة، عدهما كثير من السلف شرطاً في استحقاق الخيرية المشار إليها في الآية مع الإيمان بالله ﷻ، كما روى ابن جرير رحمه الله بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه في حجة حجها قرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية. ثم قال: يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها[٣]، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأخرج عن مجاهد رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، يقول: على هذا الشرط: أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله[٤].

ولقد كانت هذه الأمة أكثر الأمم قياماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل لم يكن في أمة من الأمم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مثل ما في هذه الأمة، إذ كانت أعظم الأمم التي قبلنا وهم بنو إسرائيل مفرطين فيهما غير قائمين بهما، كما قص الله ﷻ علينا خبرهم في قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (المائدة: ٧٨، ٧٩).

فلما قامت هذه الأمة بهذا الأمر مع تقصير غيرها من الأمم وتفريطها فيه، كانت جديرة بما أثبته الله ورسوله لها من الخيرية، إذ خير الناس آمرهم بالمعروف وأنهاهم

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب النهي عن المنكر (١/ ٦٩، رقم ٤٩).
(٢) شرح النووي مع مسلم كتاب الإيمان، باب وجوب الأمر بالمعروف (٢/ ٢٢ ـ ٢٣).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٧/ ١٠٢).
(٤) المصدر السابق (٧/ ١٠٢).

عن المنكر، كما جاء عن النبي ﷺ فيما رواه الإمام أحمد في مسنده عن درة[١] بنت أبي لهب قالت: «قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ فقال ﷺ: «**خير الناس أقرؤهم وأتقاهم، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم**»[٢].

الوجه الثالث: كونها خير الأمم للناس وأنفعها لهم:

وذلك أن هذه الأمة لما قامت بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان من أعظم المعروف الذي تأمر به الإيمان بالله ﷻ وعبادته وحده، ومن أنكر المنكر الذي تنهى عنه وتحذر الناس منه: الإشراك بالله وعبادة غيره من دونه، كما قال عبد الله بن عباس ﷺ: «تأمرونهم بالمعروف، أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، وتقاتلوهم عليه، ولا إله إلا الله هو أعظم المعروف، وتنهونهم عن المنكر، والمنكر هو التكذيب، وهو أنكر المنكر»[٣].

إنّما كانت في الواقع تدعو الناس إلى ما فيه نفعهم ونجاتهم، وتنهاهم عما فيه هلاكهم، باذلة في سبيل ذلك النفس والنفيس، ليس لها هدف إلا القيام بما أوجبه الله عليها من هداية الخلق إلى طريق النجاة، وإخراجهم من ظلمات الجهل والشك، والوثنية، إلى نور التوحيد والإيمان، وتحريرهم من عبودية العباد إلى عبودية الخالق جل وعلا، كما قال ربعي بن عامر[٤] ﷺ لرستم[٥] قائد الفرس لما سأله: ما جاء بكم؟ قال: الله ابتعثنا، والله جاء بنا، لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه

---

(١) وهي: درة بنت أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية، ابنة عم النبي ﷺ، أسلمت وهاجرت. انظر: ابن حجر، الإصابة (٤/ ٢٩٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٤٣٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٧/ ١٠٥).

(٤) هو: ربعي بن عامر بن خالد، أمد به عمر المثنى بن حارثة، وكان من أشراف العرب، وكان على مجنبة جيش أبي عبيدة إلى العراق، وله ذكر في غزوة نهاوند، وولاه الأحنف بن قيس لما فتح خراسان على صخارستان. قال ابن حجر: وقد تقدم غير مرة أنهم كانوا لا يؤمرون إلا الصحابة. انظر الإصابة (١/ ٥٠٣).

(٥) انظر: رستم بن الفرخزاد الأرمني، قائد الفرس في القادسية. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (٧/ ٣٨).

لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله، قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي[١]...

لقد كان هذا الصحابي الجليل خير سفير لهذه الأمة إلى رستم وقومه، بَيَّن له مهمة هذه الأمة، وهدفها، وهو أنها لم تخرج لطلب ملك، أو مال أو دنيا وسلطان، وإنما أخرجها الله وابتعثها، كما قال ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠) بالبناء للمجهول للدلالة على أنها لم تخرج بنفسها لهوى أو مصلحة ذاتية، وإنما أخرجت للناس، والله هو الذي أخرجها، لتدعو الخلق إلى عبادة الخالق دون المخلوق، ليس لها هدف سوى ذلك. فإن هو تحقق كان ذلك غاية ما تطمح إليه وتسعد به (فمن قبل منا ذلك، قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا)[٢].

من أجل ذلك كانت هذه الأمة خير الأمم للناس، لأنها تدعوهم إلى الخير، ولا ترجو منهم ثمناً له، بل تجاهد من يحول بينها وبين تبليغ عباد الله دين الله، حتى يخلي بينهم وبينه، ثم بعد ذلك من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، إذا تبين للناس الرشد من الغي كما قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦) ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ (الكهف: ٢٩).

لكن هذه الأمة بما أوتيت من حب الخير للغير، تكره للناس أن ينتهوا إلى هذا المصير الرهيب، وتجهد نفسها - في غير مَنٍّ ولا أذى - في سبيل أن تحول بينهم وبينه. إن أمة تحمل للبشرية كل هذا الخير، غير مبالية بما يلقى من عنت وتعب ونصب، بما في ذلك القتل والقتال، وفراق المال والعيال، لهي بحق خليقة بأن تكون: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ لأنها تسعى لنفعهم وهدايتهم وإنقاذهم من العذاب والعقاب الذي ينتظرهم.

---

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (٣/ ٥٢٠)، وانظر: البداية والنهاية (٧/ ٤٠).
(٢) انظر: وسطيّة أهل السنة بين الفرق (٢١١).

يقول الصحابي الجليل أبو هريرة ﷺ في هذا المعنى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: خير الناس للناس، تأتون بهم السلاسل في أعناقهم حتى يدخلون في الإسلام[١]. وكذا قال غير واحد من السلف كابن عباس[٢] ومجاهد، وعكرمة وغيرهم[٣].

الوجه الرابع: كونها أكثر الناس استجابة للأنبياء:

أشار إلى هذا الوجه الإمام ابن جرير ﷺ بقوله: (وقال آخرون إنما قيل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ لأنهم أكثر الأمم استجابة للإسلام، ثم روي عن الربيع[٤] أنه قال في الآية: لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة فمن ثم قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٥].

يدلل على ذلك ما جاء في الحديث الصحيح من كونه ﷺ أكثر الأنبياء تبعاً، كما في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **«أنا أول شفيع في الجنة لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبيّاً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد»**[٦].

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة»**[٧].

يوضح النبي ﷺ مبلغ هذه الكثرة فيقول في الحديث الذي رواه ابن عباس ﷺ: **«عرضت علي الأمم، فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط[٨] والنبي ليس معه أحد، حتى رفع لي سواد عظيم، قلت: ما هذا؟ أمتي هذه؟ قيل: بل هذا موسى وقومه، قيل:**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير، باب ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ (٨/ ٢٢)، رقم الحديث (٤٥٥٧) موقوفاً.

(٢) انظر: الدر المنثور، للسيوطي، (٤/ ٢٩٤).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٧٧).

(٤) هو: الربيع بن أنس البكري البصري، ثم الخراساني روى عن أنس بن مالك وأبي العالية، قال العجلي: «صدوق» وقال أبو حاتم: «صدوق»، وهو أحب إليّ من أبي العالية، وقال النسائي: ليس به بأس، توفي سنة ١٣٩، وقيل: (١٤٠هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٧/ ١٠٣).

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/ ١٨٨)، رقم الحديث (٣٣٢).

(٧) نفس المصدر والجزء والصفحة، رقم الحديث (٣٣١).

(٨) الرهط: عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة. انظر: لسان العرب: (٧/ ٣٠٥) مادة (رهط).

انظر إلى الأفق، فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل لي: انظر ها هنا، وها هنا ـ في آفاق السماء ـ فإذا سواد قد ملأ الأفق، وقيل: هذه أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً بغير حساب»[1].

وهذه النصوص الصحيحة صريحة في بيان أن المؤمنين المتبعين للنبي ﷺ من هذه الأمة، أكثر من المتبعين لأي نبي من الأنبياء من الأمم السابقة، فهذه الأمة أقرب الأمم إلى الحق واعتناقه، وهذه علامة الخير والرشد، وبذلك كانت ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ لكون المؤمنين والمهتدين منها أكثر منهم في الأمم قبلها.

الوجه الخامس: كونها لا تجتمع على ضلالة:

وذلك أنها أمة ورثت الرسل في القيام بهداية البشر ودعوتها إلى ما دعا إليه سائر الرسل من الإيمان بالله وعبادته وحده، فهي ذات رسالة تبلغها، وتستمر في إبلاغها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ولذلك ما كان لهذه الأمة أن تضل عن مهمتها ورسالتها مهما طال عليها الأمد، وامتد بها الأجل لأنها إن ضلت هي فلن يهتدي أحد، لانقطاع الوحي والرسالة.

وقد يضل بعض أفرادها وطوائفها عن الحق، بل قد يكفر ويلحد وينافق طوائف منها ولكنها لا تجمع ولا تجتمع على ذلك أبداً. بذلك أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ، فقال فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: **«إن الله قد أجار أمتي أن تجتمع على ضلالة»**[2].

بخلاف من قبلها من الأمم، فإنه كان الحق يغلب فيهم حتى لا تقوم به طائفة منهم، فهؤلاء أهل الكتاب، اليهود منهم والنصارى، اندثر الحق والدين الصحيح بينهم وانقرضت الفرقة التي كانت على الحق أو انحرفت، وأصبحت فرقهم كلها على ضلال وكفر وشك، فها هم بسائر فرقهم وطوائفهم قد أجمعوا على الضلالة والكفر وأعرضوا عما جاء به الإسلام من الحق فليس منهم رجل رشيد.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب من اكتوى، أو كوي غيره، وفضل من لم يكتو (١٠/ ١٥٥) رقم الحديث (٥٧٠٥).

(٢) ابن أبي عاصم: السنة (١/ ٤١)، وحسنه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) رقم الحديث (١٣٣١).

أما هذه الأمة فإنها والحمد لله لا تجتمع على ضلالة أبداً، بل لا بد أن تبقى طائفة منها على الدين الصحيح ظاهرة قائمة به، كما قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»[١] وفي رواية أخرى: «**لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة**»[٢].

فأمة تثبت على الهدى والتوحيد، ولا يذهب فيها نور النبوة والقرآن؛ بل لا يزال مشتعلاً مضيئاً في يدها تحمله جيلاً بعد جيل إلى أن تلقى الله به آخر طائفة منها، لا شك أنها خير الأمم التي عرفتها البشرية، بما لم توغل كما أوغل الكثير من الأمم قبلها في الكفر والضلالة، وبما يبقى فيها من الخير والهدى ما لم يبق في غيرها من الأمم[٣].

الوجه السادس: كون الكتاب الذي أنزل عليها خير الكتب السماوية: وذلك من وجوه:

١ ـ إنه الكتاب الذي وصفه الله بأنه أحسن الحديث الذي أنزله.

فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ (الزمر: ٢٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (هذا مدح من الله ﷻ لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم)[٤]. وهو نص في أن القرآن الكريم أفضل وأحسن من غيره من الكتب السماوية التي أنزلها الله ﷻ قبله.

٢ ـ إنه الكتاب السماوي الوحيد الذي تكفل الله بحفظه وصيانته من الزيادة والنقصان ومن التحريف والتبديل.

فقال جل وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ (الحجر: ٩) فالمراد

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالسنة، باب لا تزال طائفة (٧/ ١٨٩)، الحديث رقم (٧٣١١)، أخرجه ابن ماجة: المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ (١/ ٦ رقم الحديث ١٠).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: وسطيَّة أهل السنة بين الفرق (٢١٩).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٨٤).

بالذكر: القرآن، والضمير في قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ راجع إليه على الصحيح.

قال فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[١] رحمه الله: (... وهذا هو الصحيح في معنى هذه الآية، أن الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ راجع إلى الذكر الذي هو القرآن، وقيل الضمير راجع إلى النبي ﷺ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧) والأول هو الحق كما يتبادر من ظاهر السياق)[٢].

وأخبر جل وعلا: أن الباطل لا يتطرق بحال، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤١ ـ ٤٢) فكتاب هذه الأمة محفوظ بحفظ الله له، وقد مضى على نزوله الآن أربعة عشر قرناً من الزمان ولا يزال كما أنزله الله على عبده ورسوله محمد ﷺ، لم يستطع أحد أن يزيد فيه حرفاً، أو ينقص منه حرفاً، أو يبدل فيه حرفاً مكان آخر، فهو محفوظ في السطور والصدور، يحفظه عشرات الآلاف من المسلمين، ولو أراد أحد أن يزيد فيه حرفاً أو ينقصه منه لرد عليه صغار أبناء المسلمين قبل كبارهم وذلك من حفظ الله له[٣].

وهذه حقيقة ملموسة يعترف بها أعداء الإسلام فضلاً عن أبنائه، يقول وليم ميمور في كتابه (حياة محمد) ـ وهو معروف بتحامله على الإسلام ونبيه ﷺ ـ: (لم يمض على وفاة محمد ﷺ ربع قرن حتى نشأت منازعات عنيفة، وقامت طوائف، وقد ذهب عثمان رضي الله عنه ضحية هذه الفتن ولا تزال هذه الخلافات قائمة، ولكن القرآن ظل كتاب هذه الطوائف الوحيد، إن اعتماد هذه الطوائف جميعاً على هذا الكتاب تلاوة، برهان ساطع على أن الكتاب الذي بين أيدينا اليوم هو الصحيفة التي أمر الخليفة المظلوم بجمعها وكتابتها، فلعله هو الكتاب الوحيد في الدنيا الذي بقي نصّاً محفوظاً من التحريف طيلة ألف ومائتي سنة)[٤].

---

(١) هو الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي العلامة الأصولي المفسر اللغوي الحافظ، المالكي مذهباً صاحب التصانيف، ومنها أضواء البيان في تفسير القرآن، آداب البحث والمناظرة، توفي بمكة عام ١٣٩٣هـ. انظر: الأعلام (٦/ ٤٥).

(٢) انظر: أضواء البيان (٣/ ١٠٧).

(٣) انظر: وسطيَّة أهل السنة بين الفرق (٢٢١).

(٤) حياة محمد (٢٢ ـ ٢٣) اقتبسه الشيخ أبو الحسن علي بن الحسن الندوي في كتابه النبوة والأنبياء في ضوء القرآن (٢١٢).

ويقول وهيري في تفسيره للقرآن: (إن القرآن أبعد الصحف القديمة بالإطلاق عن الخلط والإلحاق، وأكثر صحة وأصالة)[١].

ويقول المستشرق[٢] لين بول (١٨٣٢ ـ ١٨٩٥): (إن أكبر ما يمتاز به القرآن أنه لم يتطرق شك إلى أصالته، إن كل حرف نقرؤه اليوم نستطيع أن نثق بأنه لم يقبل أي تغيير منذ ثلاثة عشر قرناً)[٣].

وذلك بخلاف الكتب السماوية السابقة، التي طرأ عليها الكثير من التحريف والتبديل، والزيادة والنقصان، بل والضياع أيضاً، وكان من ذلك ما أراد إليه الحق تبارك وتعالى في غير ما آية من كتابه العزيز كقوله تعالى: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥) وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (البقرة: ٧٩).

وقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ (آل عمران: ٧٨). وذلك لأن الله ﷻ لم يتكفل بحفظها، وإنما وكَّل ذلك إلى أهلها فضيعوا وحرفوا وبدلوا، قال تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ﴾ (المائدة: ٤٤).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: (فإن قيل: ما الفرق بين التوراة والقرآن، فإن كلاً منهما كلام الله أنزله على رسول من رسله صلوات الله عليهم، والتوراة حرفت، وبدلت... والقرآن محفوظ من التبديل والتحريف، ولو حَرَّف منه أحد حرفاً واحداً

---

(١) نفس المصدر السابق اقتبسه الشيخ أبو الحسن الندوي.

(٢) عالم في الآثار المصرية، له عدة مؤلفات. انظر: المستشرقون، لنجيب العقيقي (٢/ ١٦٤) والمستشرقون قوم من الغرب تفرغوا لدراسة اللغة وتراث المسلمين للطعن في الإسلام، وتركوا أوطانهم وعاشوا في الشرق ومنهم من تأثر بالإسلام ودخل فيه.

(٣) عن كتاب «النبوة والأنبياء»، لأبي الحسن الندوي (٢١٣).

فأبدله بغيره أو زاد فيه حرفاً أو نقص منه آخر لرد عليه آلاف الأطفال من صغار المسلمين فضلاً عن كبارهم.

قال: فالجواب: أن الله استحفظهم التوراة، واستودعهم إياها، فخانوا الأمانة ولم يحفظوها، بل ضيعوها عمداً، والقرآن العظيم لم يكل الله حفظه إلى أحد حتى يمكنه تضييعه، بل تولى حفظه جل وعلا بنفسه الكريمة المقدسة كما أوضحه بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ وقوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (فصلت: ٤٢) إلى غير ذلك من الآيات)[١].

٣ ـ إنه الكتاب المهيمن على الكتب قبله:

لما كان القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية المنزلة، وهو الكتاب الذي يحمل الصورة الأخيرة لدين الله، وهو المرجع الأخير في هذا الشأن، المرجع الأخير في عقائد الناس، وشرائعهم ونظام حياتهم[٢]، فقد جعله الله الكتاب المهيمن على الكتب المنزلة قبله، فقال جل وعلا: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾، أي: هو الشهيد والأمين والمؤتمن والرقيب والحاكم على كل كتاب قبله كما أثر ذلك عن ابن عباس وغيره[٣].

يقول العلامة ابن كثير رحمه الله: (وهذه الأقوال كلها متقاربة في المعنى، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين، وشاهد، وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، وشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهداً وأميناً عليها كلها وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ (الحجر: ٩)[٤].

٤ ـ إنه الكتاب الوحيد الذي تحدى الله البشر أن يأتوا بسورة من مثله:

القرآن الكريم معجزة الله الخالدة التي آتاها نبيه ﷺ، للدلالة على صدقه ونبوته،

---

(١) انظر: أضواء البيان (٢/ ٨٩ ـ ٩٠).
(٢) انظر: سيد قطب في ظلال القرآن (٢/ ٧٤٧).
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨).
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١١٩).

فتحدى به الجن والإنس أن يأتوا بمثله فقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ (الإسراء: ٨٨) وقال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ (الطور: ٣٤) ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ (هود: ١٣).

فلما لم يستطيعوا تحداهم أن يأتوا بسورة فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (يونس: ٣٨) وهذا التحدي من خصائص هذا الكتاب العزيز، ولم يقع لكتاب قبله، لأن الله لم يجعلها معجزة لأنبيائه، وإنّما اختص كل نبي منهم بمعجزة رئيسيّة من جنس ما برع فيه قومه، فكانت معجزة موسى عليه السلام إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص لبروز قومه في الطب، ثم جعل معجزة نبينا ﷺ هذا الكتاب الكريم المعجز بنظمه ومعناه فتحدى به العرب مع فصاحتهم وبلاغتهم التي عرفوا بها.

يقول ﷺ: **«ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله، فأرجو أن أكون أكثر تبعاً يوم القيامة»**[1].

قال الإمام ابن كثير في معنى قوله ﷺ في الحديث: **«إنما كان الذي أوتيته وحياً»** أي الذي اختصصت به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه بخلاف غيره من الكتب الإلهية، فإنها ليست معجزة والله أعلم[2].

وبعد: فهذا غيض من فيض من فضائل هذا الكتاب العظيم، الذي أنزل على هذه الأمة، فهو الكتاب الوحيد الذي وصفه الله بأنه أحسن الحديث، والكتاب الوحيد الذي تكفّل الله بحفظه وصيانته من بين سائر كتبه، وهو الكتاب الذي جعله الله مهيمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب، حاوياً لأفضل وأحسن ما جاء فيها وزائداً عليها بفضائل كثيرة وهو الكتاب الوحيد الذي تحدى الله الجن والإنس أن يأتوا بمثله أو بمثل سورة من سوره.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي (٩/ ٣)، رقم الحديث (٤٩٨١).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٨٩).

وإن اختيار الله ﷻ لكتاب بهذه العظمة وهذا الفضل ليكون الكتاب الذي ينزله على هذه الأمة ليدل على فضل هذه الأمة وخيريتها، وقال الحافظ ابن حجر مبيناً مناسبة إيراد الإمام البخاري لحديث ابن عمر عن النبي ﷺ: **«إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم، كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى، كمثل رجل استعمل عمالاً، فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود، فقال: من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر؟ فعملت النصارى، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين، قالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاء، قال: هل ظلمتكم من حقكم؟ فقالوا: لا، قال: فذاك فضلي أوتيه من شئت»**[(١)]. ومناسبة الحديث؛ من باب من جهة ثبوت فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم وثبوت الفضل لها بما ثبت من فضل كتابها الذي أمر بالعمل به[(٢)].

الوجه السابع: كون نبيها أفضل الأنبياء والرسل عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام:

لقد بين ﷻ في كتابه الكريم أنه فضَّل بعض الرسل والأنبياء على بعض فقال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ (البقرة: ٢٥٣) وقال في آية أخرى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ (الإسراء: ٥٥).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (... ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء وأن أولي العزم منهم أفضلهم، وهم الخمسة المذكورون نصّاً في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ (الأحزاب: ٧) وفي الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣)، ولا خلاف أن محمداً ﷺ أفضلهم ثم بعده إبراهيم ثم موسى على المشهور)[(٣)].

فنبينا ﷺ أفضل الخلق قاطبة، وهو سيد البشر، كما أخبر عن ذلك ﷺ في قوله:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام (٩/ ٦٦، رقم الحديث ٥٠٢١).

(٢) فتح الباري (٩/ ٦٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٨٥).

«**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟**»[١] ثم بين ﷺ أنه يشفع للخلق يوم القيامة حين لا يشفع هذه الشفاعة العظمى غيره من الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام. قال ﷺ في حديث آخر: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع**»[٢]. وهو ﷺ حين يقول ذلك ويخبر به لا يقوله من باب التفاخر والتعالي، فقد صرح بنفي الفخر في رواية أخرى فقال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[٣]. وإنما قاله لوجهين:

أحدهما: امتثال قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ (الضحى: ١١).

والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه ﷺ بما تقتضي مرتبته، كما أمرهم الله تعالى[٤].

ولأنه لا يمكننا معرفة ذلك إلا بخبره ﷺ، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله،[٥] ولا يشكل على تفضيله ﷺ على غيره من الأنبياء والمرسلين، ما ورد من قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «**لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله**»[٦].

وقوله ﷺ في رواية أخرى: «**لا تفضلوا بين الأنبياء**»[٧].

وقوله ﷺ: «**لا ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى**»[٨]، فإن المراد بالنهي: التفضل المؤدي إلى تنقص المفضول من الأنبياء وهذا غير لازم لتفضيل

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب أدنى الجنة منزلة (١/ ٨٤، رقم الحديث ٣٢٧).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا محمد على جميع الخلائق (٤/ ١٧٨٢، رقم ٢٢٧٨).
(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، (٢/ ١٤٤٠) رقم الحديث ٤٣٠٨، وصححه الشيخ الألباني. انظر: صحيح ابن ماجه (٢/ ٤٣٠).
(٤) النووي، شرح صحيح مسلم (١٥/ ٣٧).
(٥) انظر: ابن أبي العز، شرح الطحاوية (١٧٤).
(٦) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى (٦/ ٤٤١) رقم الحديث (٣٤٠٨).
(٧) انظر: الفتح (٦/ ٤٤٤)، وتخريج الألباني لشرح الطحاوية (١٧١).
(٨) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ (٦/ ٤٥٠).

النبي ﷺ، لأنهم أفاضل وهو أفضلهم من غير نقص أو تنقص لمكانتهم صلوات الله وسلامه عليهم.

وقال بعض أهل العلم: (المراد بالنهي: التفضيل المؤدي إلى الخصومة والتنازع وقال بعضهم إنه ﷺ نهى عن تفضيله على موسى أو غيره من الأنبياء تواضعاً وتأدباً وإلا فهو أفضلهم)[١].

عموم رسالته:

وإن من أعظم ما به فضل نبي هذه الأمة صلوات الله وسلامه عليه، ما خصه الله به، من عموم البعثة، وشمول الرسالة لجميع الأمم، وليس ذلك لأحد قبله من إخوانه الرسل والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام وفي بيان عموم رسالته يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (الأعراف: ٥٨).

قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره رحمه الله: (يقول ـ تعالى ذكره ـ لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد للناس كلهم: ﴿نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ لا إلى بعضكم دون بعض، فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، ولكنها إليكم جميعكم)[٢].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ (البقرة ٢١) وهذا خطاب للأحمر والأسود، والعربي والعجمي، ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨) أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة، ثم ذكر بعض الآيات الدالة على ذلك وقال: والآيات في هذا كثيرة، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول إلى الناس كلهم)[٣].

ومن الآيات الدالة على عموم رسالته ﷺ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً

(١) انظر: فتح الباري (٦/٤٤٦).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٧٠).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤٨٨).

لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: ٢٨)، وقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[1].

وكل الأنبياء والرسل قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، كانوا يبعثون إلى أقوامهم خاصة دون غيرهم كما أخبر الله ﷻ، فقال عن نوح: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ (نوح: ١) وقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ (الأعراف: ٥٩) وقال عن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ (الأعراف: ٦٥).

وقال عن صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ (الأعراف: ٧٣) وقال عن لوط عليه السلام: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ (الأعراف: ٨٠) وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (الأعراف: ٨٥) وقال عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ (هود: ٩٦ ـ ٩٧) وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (آل عمران: ٤٩).

وقال في حق محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ (سبأ: ٢٨) لجميع الناس، بل والجن أيضاً فقد ثبت أنه ﷺ مرسل إليهم أيضاً، وقد بلَّغهم ﷺ كما أخبر المولى بذلك في قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ (الأحقاف: ٢٩ ـ ٣١).

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره رحمه الله: (فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمداً صلوات الله وسلامه عليه إلى الثقلين الإنس والجن حيث دعاهم إلى الله وقرأ عليهم

(١) أخرجه البخاري: كتاب التيمم (١/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) رقم الحديث (٣٣٥).

السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم، وهي سورة الرحمٰن ولهذا قال: ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾[١].

ختم النبوة به:

ومما يدل على مبلغ فضله ﷺ وعلو مقامه، أن الله ختم به النبوات وبرسالته تمت الرسالات، فلا تحتاج البشرية بعده إلى نبي، ولا بعد رسالته ودينه الكامل الشامل إلى رسالة أو دين يقول ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّـۧنَ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**»[٢].

وبعد: فإن هذه الأمة إنما حازت قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد ﷺ، فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله، بعثه الله بشرع كامل عظيم، لم يعطه نبيّاً قبله ولا رسولاً من الرسل، فالعمل على منهجه وسبيله، يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه[٣].

ولأمة يختار الله أفضل رسله، وأعلاهم مكانة ومنزلة عنده وأحبهم إليه فيبعثه فيها هادياً ونبيّاً ورسولاً لهي أمة حَرِيَّة بأن تكون خير أمة، لأنها أمة خير الخلق والرسل منه تعلمت وعلى يديه تربت وبه فاقت الأمم[٤].

الوجه الثامن: تقديمها على الأمم في الحشر والحساب يوم القيامة ودخول الجنة مع كونها آخر الأمم:

إن مما يدل على فضل هذه الأمة، كونها خير الأمم ما خصها الله به من التكريم

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/٢٨٦).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب باب خاتم النبيين (٤/١٩٦ رقم الحديث ٣٥٣٥).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٧٨).
(٤) انظر: وسطيّة أهل السنة بين الفرق (٢٣٢).

والتشريف وتقديمها على سائر الأمم يوم القيامة في الحشر والحساب، كما قال ﷺ: «**نحن آخر الأمم، وأول من يحاسب يقال: أين الأمة الأمية ونبيها؟ فنحن الآخرون والأولون**»(١).

وفي الصحيح أنه ﷺ قال: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً، والنصارى بعد غد**»(٢).

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: أي: نحن الآخرون زماناً السابقون منزلة، قال: والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية، فهي سابقة لهم في الآخرة بأنهم أول من يحشر وأول من يحاسب وأول من يقضي بينهم، وأول من يدخل الجنة.

وقيل: المراد بالسبق: إحراز فضيلة اليوم السابق بالفضل وهو يوم الجمعة، ويوم الجمعة وإن كان مسبوقاً بسبت قبله أو أحد لكن لا يتصور اجتماع الأيام الثلاثة متوالية إلا ويكون يوم الجمعة سابقاً)(٣).

وظاهر الحديث يشمل الأمرين، فقد نص على سبقها يوم القيامة، كما هو نص في سبقها في الاهتداء لأفضل الأيام الذي هو يوم الجمعة مع تأخرها عن اليهود والنصارى في الزمان والله تعالى أعلم، وهي كذلك أول الأمم دخولاً الجنة، مع كونها آخر الأمم زماناً، وذلك من تكريم الله لها، وتفضيله إياها، يقول ﷺ في ذلك: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة**»(٤).

الوجه التاسع: كونها أكثر أهل الجنة:

لما كانت هذه الأمة أكثر الأمم استجابة للرسل صلوات الله وسلامه عليهم، حتى كان ﷺ أكثر الأنبياء تابعاً، امتازت بأنها أكثر من يدخل الجنة من الأمم، وفي ذلك

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة (٢/ ٣٥٤) رقم الحديث (٨٧٦).
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) انظر: فتح الباري (٢/ ٣٥٤).
(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٢/ ٥٨٥) رقم (٨٥٥).

دلالة جلية على فضلها وخيريتها.

يقول ﷺ: «**أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة**»؟ قلنا: نعم. قال: «**أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟**» قلنا: نعم. قال: «**أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟**» قلنا: نعم. قال: «**والذي نفس محمد بيده، إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر**»[1] وبذلك اتضحت لنا أوجه الخيرية لهذه الأمة، وبيَّنا معنى من معاني الوسطيَّة ألا وهو الخيرية.

* * *

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب كيف الحشر (١١/٣٧٨) رقم الحديث (٦٥٢٨).